مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ

[كِتَابُ الطَّهَارَةِ]

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

نِسْبَةُ كِتَابِ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ لِلْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ

فَكِتَابُ «عُمْدَةِ الأَحْكَامِ» لِلحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ثَابِتُ النِّسْبَةِ إِلَيْهِ، فَلَا يُوجَدُ خِلَافٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ فِي نِسْبَةِ كِتَابِ «العُمْدَةِ» إِلَىٰ عَبْدِ الغَنِيِّ، **وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ طُرُقٍ عِدَّةٍ:**

الأُولَىٰ: عَنِ الفَخْرِ بْنِ البُخَارِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ تِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَهُوَ مُسْنِدُ الدُّنْيَا الشَّيْخُ الإِمَامُ الصَّالِحُ المُعَمَّرُ فَخْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو الحَسَنِ ابْنُ العَلَّامَةِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي العَبَّاسِ المَقْدِسِيِّ الصَّالِحِيِّ الحَنْبَلِيِّ، المَعْرُوفُ وَالِدُهُ بِابْنِ البُخَارِيِّ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «المُعْجَمِ المُؤَسَّسِ»: «رَأَيْتُ بِخَطِّهِ غَالِبًا فِي إِجَازَةِ الطَّلَبَةِ بِرِوَايَتِهِ الْعُمْدَةَ عَنِ القُطْبِ الحَلَبِيِّ، وَابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ عَنِ الفَخْرِ ابْنِ البُخَارِيِّ عَنِ المُؤَلِّفِ، **وَهَذَا مِمَّا يَنْتَقِدُهُ أَهْلُ الفَنِّ مِنْ وَجْهَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الفَخْرَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ تَصْرِيحٌ بِالإِجَازَةِ مِنْ عَبْدِ الغَنِيِّ، وَإِنَّمَا قُرِئَ عَلَيْهِ بِإِجَازَتِهِ لِغَلَبَةِ الظَّنِّ أَنَّ آلَ الفَخْرِ كَانُوا مُلَازِمِينَ لِعَبْدِ الغَنِيِّ، فَيَبْعُدُ أَنْ لَا يَكُونُوا اسْتَجَازُوهُ لَهُ.

ثَانِيهِمَا: أَنَّ أَهْلَ الفَنِّ -يَعْنِي: أَهْلَ الحَدِيثِ- مِنَ النُّقَّادِ الجَهَابِذَةِ يُقَدِّمُونَ

العُلُومَ، وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: تَقْدِيمُ السَّمَاعِ عَلَىٰ الإِجَازَةِ.

وَ«العُمْدَةُ» قَدْ سَمِعَهَا مِنْ عَبْدِ الغَنِيِّ: الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ نِعْمَةَ النَّابُلْسِيُّ، وَعَبْدُ الهَادِي بْنُ عَبْدِ الكَرِيمِ القَيْسِيُّ، وَكِلَاهُمَا مِمَّنْ أَجَازَ لِجَمْعٍ جَمٍّ مَشَايِخَ شَيْخِنَا، وَقَدْ حَدَّثَ بِـ«العُمْدَةِ» مِنْ شُيُوخِ شَيْخِنَا -المُتَكَلِّمُ هُوَ: ابْنُ حَجَرٍ فِي «المُعْجَمِ المُؤَسَّسِ» كَمَا مَرَّ-: الحَسَنُ بْنُ السَّدِيدِ بِإِجَازَتِهِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ المَذْكُورِ، فَكَانَ ذِكْرُ شَيْخِنَا لَهُ أَوْلَىٰ، فَعَدَلَ مِنْ عَالٍ إِلَىٰ نَازِلٍ، وَعَنْ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ إِلَىٰ مُخْتَلَفٍ فِيهِ، فَهَذَا مِمَّا يُنْتَقَدُ عَلَيْهِ».

وَقَالَ الكَتَّانِيُّ: «وَعُمْدَةُ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ يَرْوِيهَا المُتَرْجَمُ -وَذَكَرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَرْجَمَةِ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ العَلَوِيِّ-، عَنِ المِزِّيِّ؛ يَعْنِي: يَرْوِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ العَلَوِيُّ، عَنِ المِزِّيِّ، عَنِ ابْنِ البُخَارِيِّ، عَنْ مُؤَلِّفِهَا الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ».

الثَّانِيَةُ -مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي رُوِيَ كِتَابُ «عُمْدَةُ الأَحْكَامِ» عَنِ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ بِهَا-: مَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَهُوَ مُسْنِدُ الوَقْتِ المُعَمَّرُ العَالِمُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ نِعْمَةَ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ المَقْدِسِيُّ الفُنْدُقِيُّ الحَنْبَلِيُّ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ فِي «بَرْنَامَجِهِ»: «سَمِعَ «العُمْدَةَ فِي الأَحْكَامِ» مِنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ المَقْدِسِيِّ بِسَمَاعِهِ عَنْ مُصَنِّفِهِمَا عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ،

وَحَدَّثَ بِهَا غَيْرَ مَرَّةٍ».

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَ«عُمْدَةُ الأَحْكَامِ» عَلَىٰ ابْنِ السَّدِيدِ الحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الدَّائِمِ، أَخْبَرَنَا المُصَنِّفُ».

وَقَالَ الرُّودَانِيُّ فِي «صِلَةِ السَّلَفِ»: «كِتَابُ «العُمْدَةِ» لِلتَّقِيِّ عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ المَقْدِسِيِّ بِهِ إِلَىٰ الأُسْتَاذِ ابْنِ الجَزَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الخَبَّازِ وَلَيْسَ بِالنَّحْوِيِّ، عَنِ الزَّيْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ نِعْمَةَ بِهِ».

الطَّرِيقُ الثَّالِثَةُ: عَنِ الخَطِيبِ المُقْرِئِ المُعَمَّرِ عَبْدِ الهَادِي بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَىٰ أَبِي الفَتْحِ القَيْسِيِّ المِصْرِيِّ الشَّافِعِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَ«العُمْدَةُ» قَدْ سَمِعَهَا مِنْ عَبْدِ الغَنِيِّ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ نِعْمَةَ النَّابُلُسِيُّ، وَعَبْدُ الهَادِي بْنُ عَبْدِ الكَرِيمِ القَيْسِيُّ، وَكِلَاهُمَا مِمَّنْ أَجَازَ لِجَمْعٍ جَمٍّ غَفِيرٍ مِنْ مَشَايِخِ شَيْخِنَا».

فَكِتَابُ العُمْدَةِ «عُمْدَةِ الأَحْكَامِ» ثَابِتُ النِّسْبَةِ إِلَىٰ مُؤَلِّفِهِ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

www.menhag-un.com

مِنْ شُرُوحِ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ

وَقَدْ حَظِيَ كِتَابُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ بِشُرُوحٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

- «إِحْكَامُ الأَحْكَامِ فِي شَرْحِ أَحَادِيثِ سَيِّدِ الأَنَامِ»: لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ عِمَادِ الدِّينِ بْنِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ الأَثِيرِ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ عَلَّقَ بِهِ عَلَىٰ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ العُمْدَةِ:** «إِحْكَامُ الأَحْكَامِ شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِلإِمَامِ الحَافِظِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ دَقِيقِ العِيدِ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا:** «إِحْكَامُ شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ سَلْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ أَبُو الحَسَنِ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ العَطَّارِ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ العُمْدَةِ:** «العُدَّةُ شَرْحُ العُمْدَةِ»: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ البَغْدَادِيِّ المَالِكِيِّ المَعْرُوفِ بِابْنِ عَسْكَرٍ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ:** «رِيَاضُ الأَفْهَامِ فِي شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِعُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمِ بْنِ صَدَقَةَ اللَّخْمِيِّ الإِسْكَنْدَرِيِّ الفَاكَهَانِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ

أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «عُدَّةُ الأَفْهَامِ فِي شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَاءِ الدِّينِ المَعْرُوفِ بِالخَازِنِ المُفَسِّرِ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ العُمْدَةِ**: «شَرْحُ العُمْدَةِ» فِي ثَمَانِي مُجَلَّدَاتٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ المِصْرِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ العُمْدَةِ**: «العُدَّةُ فِي إِعْرَابِ العُمْدَةِ»: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فَرْحُونَ التُّونِسِيِّ المَدَنِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «تَيْسِيرُ المَرَامِ شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقٍ التِّلْمِسَانِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «النُّكَتُ عَلَىٰ العُمْدَةِ فِي الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَهَادِرَ الزَّرْكَشِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِهَا**: «الإِعْلَامُ بِفَوَائِدِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِلإِمَامِ الحَافِظِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيِّ الشَّافِعِيِّ المَعْرُوفِ بِابْنِ المُلَقِّنِ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «شَرْحٌ عَلَىٰ شَرْحِ العُمْدَةِ لِابْنِ دَقِيقِ العِيدِ»: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ أَبِي المَعَالِي زَيْنِ الدِّينِ الفَارَسْكُورِي، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، فِي مُجَلَّدَاتٍ وَقَفَ السَّخَاوِيُّ عَلَىٰ كَرَارِيسَ مِنْهُمْ.

- **وَمِنْهَا**: «عُدَّةُ الحُكَّامِ فِي شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مُحَمَّدِ مَجْدِ الدِّينِ الشِّيرَازِيِّ الفَيْرُوزَآبَادِيِّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ عَنْ سَيِّدِ الأَنَامِ» وَلَمْ يُكْمِلْهُ، لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَدْرٍ العَامِرِيِّ الغَزِّيِّ الدِّمَشْقِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ، وَصَلَ فِيهِ إِلَىٰ بَابِ الصَّدَاقِ.

- **وَمِنْهُ**: «قِطْعَةٌ عَلَىٰ شَرْحِ العُمْدَةِ لِابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ»: لِيَعْقُوبَ بْنِ جَلَالِ بْنِ أَحْمَدَ التَّبَّانِيِّ الحَنَفِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ العُمْدَةِ**: «شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ البَرْمَاوِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْ شُرُوحِ العُمْدَةِ**: «غَايَةُ الإِلْهَامِ فِي شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ مُحَمَّدٍ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «الإِحْكَامُ فِي شَرْحِ غَرِيبِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ مُحَمَّدٍ.

- **وَمِنْهَا**: «النُّكَتُ عَلَىٰ النُّكَتِ لِلزَّرْكَشِيِّ»: لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «تَمَامُ شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الغَزِّيِّ»: لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيِّ الدِّينِ أَبِي البَرَكَاتِ الدِّمَشْقِيِّ الغَزِّيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «عُدَّةُ الحُكَّامِ فِي شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِعَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ أَبِي الوَفَا العَلَوِيِّ الحُسَيْنِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- **وَمِنْهَا**: «شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ لِلمَقْدِسِيِّ»: لِأَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ أَبِي العَبَّاسِ الفِهْرِيِّ القَصْرِيِّ الفَاسِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَأَلْفٍ.

- **وَمِنْهَا**: «العُدَّةُ حَاشِيَةٌ عَلَىٰ إِحْكَامِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الأَمِيرِ الصَّنْعَانِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

- **وَمِنْهَا**: «كَشْفُ اللِّثَامِ شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ السَّفَّارِينِيِّ النَّابُلْسِيِّ الحَنْبَلِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

- **وَمِنْهَا**: «مَوَارِدُ الإِفْهَامِ عَلَىٰ سَلْسَبِيلِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِابْنِ بَدْرَانَ الدِّمَشْقِيِّ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ.

- **وَمِنْهَا**: «الإِلْمَامُ بِشَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

- وَ«خُلَاصَةُ الكَلَامِ شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِفَيْصَلِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ آلَ مُبَارَكٍ.

www.menhaj-un.com

- **وَمِنْهَا**: «تَنْبِيهُ الأَفْهَامِ فِي شَرْحِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِمُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِينِ المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ.

وَمِنْهَا: «نَيْلُ المَرَامِ شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِحَسَن سُلَيْمَان النُّورِي المَالِكِيِّ.

- **وَمِنْهَا**: «تَيْسِيرُ العَلَّامِ شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَالِحٍ آلَ بَسَّامٍ.

- **وَمِنْهَا**: «تَأْسِيسُ الأَحْكَامِ عَلَىٰ مَا صَحَّ عَنْ خَيْرِ الأَنَامِ بِشَرْحِ أَحَادِيثِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِأَحْمَدَ بْنِ يَحْيَىٰ النَّجْمِيِّ.

وَهَذِهِ الشُّرُوحُ الكَثِيرَةُ مِنْهَا مَا هُوَ كَالتَّنْكِيتِ عَلَىٰ «العُمْدَةِ»، أَوْ عَلَىٰ بَعْضِ شُرُوحِهَا، وَمِنْهَا مَا هُوَ إِعْرَابٌ لِلعُمْدَةِ، وَالكُلُّ فِي خِدْمَةِ هَذَا المَجْمُوعِ مِنْ أَحَادِيثِ البَشِيرِ النَّذِيرِ ﷺ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالأَحْكَامِ.

هَذِهِ الكَثْرَةُ فِي شُرُوحِ «**عُمْدَةِ الأَحْكَامِ**» لِعَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ إِخْلَاصِهِ فِي جَمْعِهِ، وَصِدْقِ نِيَّتِهِ فِي سَعْيِهِ، فَقَيَّضَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ هَؤُلَاءِ العُلَمَاءَ الَّذِينَ هُمْ كَالشُّمُوسِ فِي الدُّنْيَا لِخِدْمَةِ هَذَا الكِتَابِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْحَمَهُ، وَأَنْ يَرْحَمَهُمْ، وَأَنْ يَرْحَمَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَ المُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

www.mennag-un.com

رِجَالُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ

وَهُنَاكَ أَيْضًا مَجَالٌ آخَرُ لِخِدْمَةِ كِتَابِ «عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»، وَهُوَ مَا صُنِّفَ فِي رِجَالِ «العُمْدَةِ»:

- «رِجَالُ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ»: لِعَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الصَّعْبِيِّ الْمِصْرِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

- وَمِنْهَا: «العُدَّةُ مِنْ رِجَالِ العُمْدَةِ»: وَهُوَ فِي تَرَاجِمِ عُمْدَةِ الأَحْكَامِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ أَيُّوبَ أَبِي إِسْحَاقَ الأَبْنَاسِيِّ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِمِائَةٍ.

- وَمِنْهَا: «العُدَّةُ فِي مَعْرِفَةِ رِجَالِ العُمْدَةِ»: لِلإِمَامِ ابْنِ المُلَقِّنِ، المُتَوَفَّىٰ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، قَالَ عَنْهُ: «فِي مُجَلَّدٍ؛ غَرِيبٌ فِي بَابِهِ» وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي خُطْبَةِ «الإِعْلَامِ».

www.menhag-un.com

خُطْبَةُ كِتَابِ «العُمْدَةِ»

وَأَمَّا خُطْبَةُ كِتَابِ «العُمْدَةِ» لِلحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ قَالَ:

«قَالَ الشَّيْخُ الحَافِظُ، تَقِيُّ الدِّينِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الغَنِيِّ بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ -لَا يَخْفَىٰ أَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الدِّيبَاجَاتِ لَا تَكُونُ مِنْ صَنِيعِ عُلَمَائِنَا -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ-، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ وَصْفِ أَنْفُسِهِمْ بِأَلْقَابِ وَأَلْفَاظِ التَّزْكِيَةِ لِلنَّفْسِ، بَلْ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ مَعْرِفَةً لِأَنْفُسِهِمْ، وَمَعْرِفَةً بِقَدْرِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَهَذَا مِنْ صَنِيعِ رَاوِي هَذَا الكِتَابِ عَنْهُ-.

قَالَ الشَّيْخُ الحَافِظُ، تَقِيُّ الدِّينِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الغَنِيِّ بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحَمْدُ للهِ المَلِكِ الجَبَّارِ، الوَاحِدِ القَهَّارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُخْتَارُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَخْيَارِ».

وَكَانَ يَنْبَغِي لِلمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَقْرِنَ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ، وَقَدْ نَصَّ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كَرَاهَةِ أَحَدِهِمَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.. صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ وَلَكِنَّ الإِمَامَ عَبْدَ الغَنِيِّ قَالَ هَاهُنَا فِي خُطْبَةِ كِتَابِ «العُمْدَةِ»: «صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَخْيَارِ»، وَاقْتَصَرَ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ ﷺ.

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ بَعْضَ إِخْوَانِي سَأَلَنِي اخْتِصَارَ جُمْلَةٍ فِي أَحَادِيثِ الأَحْكَامِ».

فَبَيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سَبَبَ تَأْلِيفِ الكِتَابِ، وَأَوْضَحَ أَنَّ بَعْضَ إِخْوَانِهِ سَأَلَهُ اخْتِصَارَ جُمْلَةٍ فِي أَحَادِيثِ الأَحْكَامِ، وَقَدْ مَرَّ فِي تَرْجَمَتِهِ فِي ذِكْرِ مُصَنَّفَاتِهِ أَنَّ لَهُ «الأَحْكَامَ الكُبْرَىٰ»، وَأَمَّا «الأَحْكَامُ الصُّغْرَىٰ» فَيَسْتَظْهِرُ العُلَمَاءُ أَنَّهُ «عُمْدَةُ الأَحْكَامِ» الَّذِي مَعَنَا.

فَبَيَّنَ سَبَبَ تَأْلِيفِ الكِتَابِ، وَأَمَّا الِاخْتِصَارُ الَّذِي ذُكِرَ فِي كَلَامِهِ: «سَأَلَنِي اخْتِصَارَ جُمْلَةٍ فِي أَحَادِيثِ الأَحْكَامِ»، فَالِاخْتِصَارُ: تَقْلِيلُ الشَّيْءِ.

وَ«أَحَادِيثُ الأَحْكَامِ»: مَا دَلَّ عَلَىٰ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

قَالَ: «مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الإِمَامَانِ: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، فَأَجَبْتُهُ إِلَىٰ سُؤَالِهِ؛ رَجَاءَ المَنْفَعَةِ بِهِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ، وَمَنْ كَتَبَهُ، أَوْ سَمِعَهُ، أَوْ قَرَأَهُ، أَوْ حَفِظَهُ، أَوْ نَظَرَ فِيهِ،

www.menhag-ul.com

وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، مُوجِبًا لِلفَوْزِ لَدَيْهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ؛ فَإِنَّهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

انْتَهَتْ خُطْبَةُ كِتَابِ «العُمْدَةِ» لِمُصَنِّفِهِ الإِمَامِ الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَهَذَا الكِتَابُ مِنْ أَصَحِّ الكُتُبِ وَأَنْفَعِهَا، وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ العِلْمِ مِنْ حِفْظِهِ؛ فَإِنَّ أَحَادِيثَهُ صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ جَامِعَةٌ لِمَا تَفَرَّقَ فِي غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ، وَمُؤَلِّفُهُ هُوَ الإِمَامُ العَالِمُ العَامِلُ القُدْوَةُ الحَافِظُ عَبْدُ الغَنِيِّ بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ المَقْدِسِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، المَوْلُودُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَإِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ، وَالمُتَوَفَّىٰ سَنَةَ سِتِّمِائَةٍ.

كَانَ كَثِيرَ العِبَادَةِ، وَرِعًا، مُتَمَسِّكًا بِالسُّنَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

www.menhag-un.com

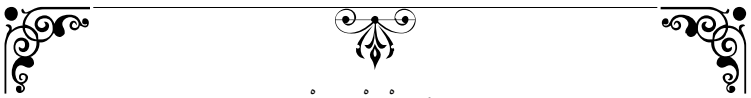

مَرَاتِبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

قَالَ الإِمَامُ الخَطَّابِيُّ فِي «مَعَالِمِ السُّنَنِ»: «وَرَأَيْتُ أَهْلَ العِلْمِ فِي زَمَانِنَا قَدْ حَصَلُوا حِزْبَيْنِ وَانْقَسَمُوا إِلَىٰ فِرْقَتَيْنِ: أَصْحَابِ حَدِيثٍ وَأَثَرٍ، وَأَهْلِ فِقْهٍ وَنَظَرٍ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لَا تَتَمَيَّزُ عَنْ أُخْتِهَا فِي الحَاجَةِ، وَلَا تَسْتَغْنِي عَنْهَا فِي دَرْكِ مَا تَنْحُوهُ مِنَ البُغْيَةِ وَالإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ الحَدِيثَ بِمَنْزِلَةِ الأَسَاسِ الَّذِي هُوَ الأَصْلُ، وَالفِقْهُ بِمَنْزِلَةِ البِنَاءِ الَّذِي هُوَ لَهُ كَالفَرْعِ».

وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَرَاتِبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ثَلَاثٌ:

رِوَايَةٌ: وَهِيَ مُجَرَّدُ النَّقْلِ وَحَمْلِ الْمَرْوِيِّ.

وَدِرَايَةٌ: وَهِيَ فَهْمُهُ وَتَعَقُّلُ مَعْنَاهُ.

وَرِعَايَةٌ: وَهِيَ الْعَمَلُ بِمُوجِبِ مَا عَلِمَهُ وَمُقْتَضَاهُ.

فَالنَّقَلَةُ هِمَّتُهُمُ الرِّوَايَةُ، وَالْعُلَمَاءُ هِمَّتُهُمُ الدِّرَايَةُ، وَالْعَارِفُونَ هِمَّتُهُمُ الرِّعَايَةُ»، ذَكَرَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ».

وَفِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ جَعَلَهُمْ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ كَمَا فِي «الوَابِلِ الصَّيِّبِ».

فَمَرَاتِبُ العِلْمِ وَالعَمَلِ: ثَلَاثٌ: رِوَايَةٌ، وَدِرَايَةٌ، وَرِعَايَةٌ.

رِوَايَةٌ: وَهِيَ مُجَرَّدُ النَّقْلِ وَحَمْلِ الْمَرْوِيِّ.

وَدِرَايَةٌ: وَهِيَ فَهْمُهُ وَتَعَقُّلُ مَعْنَاهُ.

وَرِعَايَةٌ: وَهِيَ الْعَمَلُ بِمُوجِبِ مَا عَلِمَهُ وَمُقْتَضَاهُ.

النَّقَلَةُ هِمَّتُهُمُ الرِّوَايَةُ، الْعُلَمَاءُ هِمَّتُهُمُ الدِّرَايَةُ، الْعَارِفُونَ هِمَّتُهُمُ الرِّعَايَةُ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

نُبْذَةٌ فِي شَرْحِ خُطْبَةِ «العُمْدَةِ» عَلَى طَرِيقِ الِاخْتِصَارِ

وَهَذِهِ نُبْذَةٌ فِي شَرْحِ خُطْبَةِ «العُمْدَةِ» لِعَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ طَرِيقِ الِاخْتِصَارِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَمْدُ للهِ» وَالكَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: إِنَّمَا بَدَأَ بِالحَمْدِ لِلَّهِ لِأُمُورٍ:

أَوَّلُهَا: الِاقْتِدَاءُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّهُ مُفْتَتَحٌ بِالحَمْدِ.

ثَانِيهَا: لِامْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَمْرِ نَبِيِّهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

وَقَالَ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [النمل: ٩٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ خُطَبَهُ وَرَسَائِلَهُ بِالحَمْدِ.

ثَالِثُهَا: لِلتَّبَرُّكِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ.

وَرَابِعُهَا: شُكْرُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مَا أَوْلَىٰ مِنَ النِّعَمِ، حَيْثُ رَفَعَهُ مِنْ دَرَجَةِ التَّعَلُّمِ إِلَىٰ دَرَجَةِ التَّعْلِيمِ.

الوَجْهُ الثَّانِي مِنْ أَوْجُهِ الكَلَامِ عَلَىٰ «الحَمْدُ لِلَّهِ»: فِي حَدِّ الحَمْدِ وَتَعْرِيفِهِ.

هُوَ الثَّنَاءُ عَلَىٰ المَمْدُوحِ بِصِفَاتِهِ الجَمِيلَةِ، وَأَفْعَالِهِ الحَسَنَةِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ مُشْعِرٍ بِتَعْظِيمِ المُنْعِمِ لِكَوْنه مُنْعِمًا.

وَالفِعْلُ: إِمَّا بِالقَلْبِ: وَهُوَ اعْتِقَادُ كَوْنِهِ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الجَلَالِ.

وَإِمَّام بِاللِّسَانِ: وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَىٰ اتِّصَافِهِ بِصِفَاتِ الكَمَالِ.

وَإِمَّا بِالجَوَارِحِ: وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَفْعَالٍ دَالَّةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَقَالَ جَمَاعَةٌ: الحَمْدُ: الرِّضَىٰ.

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ: «هُوَ نَقِيضُ الذَّمِّ».

وَقَالَ ثَعْلَبٌ: «هُوَ المَدْحُ»، وَرُدَّ بِأَنَّ الحَمْدَ أَعَمُّ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ الوَصْفُ بِالجَمِيلِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّعْظِيمِ قَصْدًا مُطْلَقًا.

فَخَرَجَ بِالأَوَّلِ: حَمْدُ الغَافِلِ، وَبِالثَّانِي: قَصْدُ الحَمْدِ ظَاهِرًا لِغَيْرِهِ، وَبَاطِنًا لِنَفْسِهِ، كَقَوْلِكَ: نِعْمَ الطَّالِبُ زَيْدٌ، وَقَدْ قَرَأَ عَلِيَّ، أَوْ تَقُولُ: نِعْمَ الطَّالِبُ زَيْدٌ وَهُوَ تِلْمِيذِي.

وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أَكْثَرَ النَّاسُ فِي الحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَأَيُّهُمَا أَخَصُّ.

وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا مِنْ وَجْهٍ؛ فَيَجْتَمِعَانِ فِي ثَنَاءٍ فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ، وَيُوجَدُ الحَمْدُ بِدُونِ الشُّكْرِ فِي ثَنَاءٍ وَلَا مُقَابِلَ نِعْمَةٍ، وَالشُّكْرُ بِدُونِ الحَمْدِ فِي فِعْلٍ مُقَابِلٍ لِنِعْمَةٍ، فَلَيْسَ كُلُّ حَمْدٍ شُكْرًا، وَلَا كُلُّ شُكْرٍ حَمْدًا.

نَعَمْ، مُتَعَلَّقُ الحَمْدِ -وَهُوَ المَحْمُودُ عَلَيْهِ- أَعَمُّ مِنْ مُتَعَلَّقِ الشُّكْرِ، فَكُلُّ مَا يَصِحُّ الشُّكْرُ عَلَيْهِ يَصِحُّ الحَمْدُ عَلَيْهِ، وَلَا يَنْعَكِسُ.

الوَجْهُ الرَّابِعُ: اخْتَارَ المُصَنِّفُ الحَمْدَ دُونَ المَدْحِ لِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: التَّأَسِّي بِالقُرْآنِ المَجِيدِ.

ثَانِيهِمَا: أَنَّهُ بَعْدَ الإِحْسَانِ بِخِلَافِ المَدْحِ.

قَالَ الرَّافِعِيُّ: «إِنَّ المَدْحَ أَعَمُّ؛ لِأَنَّ الثَّنَاءَ عَلَىٰ الشَّخْصِ بِمَا لَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيهِ كَحَسَنِ الوَجْهِ وَالقَدِّ وَنَحْوِهِمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ: المَدْحُ دُونَ الحَمْدِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُتَعَلَّقُ المَدْحِ -وَهُوَ المَمْدُوحُ عَلَيْهِ- أَعَمَّ الثَّلَاثَةِ».

فَرَّقَ السُّهَيْلِيُّ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ الحَمْدَ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ صَادِرًا عَنْ عِلْمٍ، وَأَنْ تَكُونَ تِلْكَ الصِّفَاتُ المَحْمُودَةُ صِفَاتِ كَمَالٍ، وَالمَدْحُ قَدْ يَكُونُ عَنْ ظَنٍّ وَبِصِفَةٍ مُسْتَحْسَنَةٍ وَإِنْ كَانَ فِيهَا نَقْصٌ مَا.

وَفَرَّقَ الرِّضَا القَزْوِينِيُّ صَاحِبُ «العُرْوَةِ الوُثْقَىٰ» بِأَنَّ المَدْحَ يَكُونُ لِلْحَيِّ وَغَيْرِهِ، بِخِلَافِ الحَمْدِ تَقُولُ: مَدَحْتُ اللُّؤْلُؤَ، وَلَا تَقُولُ: حَمِدْتُهَا.

وَالمَدْحُ قَدْ يَكُونُ مَنْهِيًّا عَنْهُ؛ قَالَ ﷺ: «**احْثُوا فِي وُجُوهِ المَدَّاحِينَ التُّرَابَ**» -رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ الحَارِثِ، عَنِ المِقْدَادِ بِلَفْظِ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا عَلَىٰ وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»-، بِخِلَافِ الحَمْدِ، فَالحَمْدُ أَعَمُّ.

وَلِأَنَّهُ يَصِحُّ إِطْلَاقُهُ لِلشَّاهِدِ وَالغَائِبِ بِخِلَافِ المَدْحِ فَإِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِالغَائِبِ.

وَ«الحَمْدُ لِلَّهِ»: يَدُلُّ عَلَىٰ كَوْنِهِ فَاعِلًا مُخْتَارًا بِخِلَافِ المَدْحِ لِلَّهِ لِعُمُومِهِ.

الوَجْهُ الخَامِسُ: اخْتَارَ المُصَنِّفُ الحَمْدَ دُونَ الشُّكْرِ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ ثَنَاءٌ عَلَىٰ اللهِ بِسَبَبِ كُلِّ إِنْعَامٍ، فَهُوَ أَفْضَلُ بِخِلَافِ الشُّكْرِ؛ فَإِنَّهُ ثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِسَبَبِ إِنْعَامِهِ عَلَيْكَ.

هَذَا هُوَ قَوْلُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ؛ لِأَنَّ الحَمْدَ يَكُونُ مَعَ الإِنْعَامِ عَلَيْكَ وَعَدَمِهِ، وَالشُّكْرَ مُخْتَصٌّ بِالإِنْعَامِ عَلَيْكَ.

قَوْلُهُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ»: يُفِيدُ أَنَّهُ مَحْمُودٌ قَبْلَ حَمْدِ الحَامِدِينَ سَوَاءٌ حَمِدَهُ أَحَدٌ أَوْ لَمْ يَحْمَدْهُ؛ وَلِأَنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ مَعْنَاهُ: أَنَّ الحَمْدَ حَقٌّ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُسْتَحِقُّهُ لِذَاتِهِ؛ لِكَثْرَةِ آلَائِهِ عَلَىٰ عَبِيدِهِ.

وَإِذَا قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: مَنْ أَنَا حَتَّىٰ أَحْمَدَهُ، لَكِنَّهُ مَحْمُودٌ قَبْلَ حَمْدِ الحَامِدِينَ.

الحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةُ كُلِّ شَاكِرٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَىٰ الْحَمْدُ لِلَّهِ: الشُّكْرُ لِلَّهِ خَالِصًا دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنَ

النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ، فِي تَصْحِيحِ الْآلَاتِ لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِينِ جَوَارِحِ أَجْسَامِ الْمُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرِيضَتِهِ، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَغَذَّاهُمْ بِهِ مِنْ نَعِيمِ الْعَيْشِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ دَوَامِ الْخُلُودِ فِي دَارِ الْمُقَامِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَلِرَبِّنَا الْحَمْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الْحَمْدُ لِلَّهِ): ثَنَاءٌ أَثْنَىٰ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَفِي ضِمْنِهِ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ».

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ: «الحَمْدُ: نَقِيضُ الذَّمِّ، تَقُولُ: حَمِدْتُ الرَّجُلَ أَحْمَدُهُ حَمْدًا وَمَحْمَدَةً، فَهُوَ حَمِيدٌ وَمَحْمُودٌ، وَالتَّحْمِيدُ أَبْلَغُ مِنَ الحَمْدِ، وَالحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ».

وَقَالَ فِي الشُّكْرِ: «هُوَ الثَّنَاءُ عَلَىٰ المُحْسِنِ بِمَا أَوْلَاكَهُ مِنَ المَعْرُوفِ، يُقَالُ: شَكَرْتُهُ وَشَكَرْتُ لَهُ، وَبِاللَّامِ أَفْصَحُ». شَكَرْتُ لَهُ أَفْصَحُ مِنْ شَكَرْتُهُ.

وَالمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ **أَنَّ الحَمْدَ**: هُوَ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ عَلَىٰ الجَمِيلِ الِاخْتِيَارِيِّ نِعْمَةً كَانَ أَوْ غَيْرَهَا؛ يُقَالُ: حَمِدْتُ الرَّجُلَ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ، وَحَمِدْتُهُ عَلَىٰ شَجَاعَتِهِ.

وَأَمَّا الشُّكْرُ: فَعَلَىٰ النِّعْمَةِ خَاصَّةً، وَيَكُونُ الشُّكْرُ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَبَيْنَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهٍ: يَجْتَمِعَانِ فِي الثَّنَاءِ بِاللِّسَانِ عَلَىٰ النِّعْمَةِ، وَيَنْفَرِدُ الحَمْدُ فِي الثَّنَاءِ بِاللِّسَانِ عَلَىٰ مَا لَيْسَ بِنِعْمَةٍ مِنَ الجَمِيلِ الِاخْتِيَارِيِّ، وَيَنْفَرِدُ الشُّكْرُ بِالثَّنَاءِ بِالقَلْبِ وَالجَوَارِحِ عَلَىٰ خُصُوصِ النِّعْمَةِ، فَالحَمْدُ أَعَمُّ مُتَعَلَّقًا، وَأَخَصُّ آلَةً، وَالشُّكْرُ بِالعَكْسِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشْتَهَرَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ الْحَمْدَ: هُوَ الثَّنَاءُ بِالْقَوْلِ عَلَىٰ الْمَحْمُودِ بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، وَأَنَّ الشُّكْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ الْمُتَعَدِّيَةِ، وَيَكُونُ بِالْجَنَانِ وَاللِّسَانِ وَالْأَرْكَانِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

وَلَكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا: أَيُّهُمَا أَعَمُّ الْحَمْدُ أَوِ الشُّكْرُ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ:

وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا؛ فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَىٰ الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ، تَقُولُ: حَمِدْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ وَحَمِدْتُهُ لِكَرَمِهِ، فَهَاهُنَا لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ؛ وَهُوَ أَخَصُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، فَالحَمْدُ أَخَصُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ الآلَةُ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالقَوْلِ.

الشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ وَالنِّيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَخَصُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ، لَا يُقَالُ: شَكَرْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ، تَقُولُ: شَكَرْتُهُ عَلَىٰ كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ.

هَذَا حَاصِلُ مَا حَرَّرَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ.

وَأَمَّا الْمَدْحُ فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ لِلْحَيِّ وَلِلْمَيِّتِ، وَلِلْجَمَادِ أَيْضًا كَمَا يُمْدَحُ الطَّعَامُ وَالمَكَانُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَكُونُ قَبْلَ الْإِحْسَانِ وَبَعْدَهُ، وَعَلَىٰ الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ، وَاللَّازِمَةِ -أَيْضًا-؛ فَهُوَ أَعَمُّ» أَيْ: المَدْحُ.

الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي (الحَمْدُ) فِي قَوْلِكَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي (الحَمْدُ): لِاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الحَمْدِ وَصُنُوفِهِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ.

وَاللهُ تَعَالَىٰ يُحْمَدُ عَلَىٰ كَمَالِهِ ﷻ وَعَلَىٰ إِنْعَامِهِ، فَنَحْنُ نَحْمَدُه تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهُ كَامِلُ الصِّفَاتِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَنَحْمَدُهُ -أَيْضًا- لِأَنَّهُ كَامِلُ الإِنْعَامِ وَالإِحْسَانِ.

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَىٰ الأَزْمَانِ

مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ وَنَظِيرَهُ ... مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ

هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَ ﷺ لَا يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللهِ. وَأَمَّا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّهُ يَفْتَتِحُ خُطْبَهُ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَفِي الْعِيدَيْنِ بِالتَّكْبِيرِ فَلَيْسَ مَعَهُمْ سُنَّةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَلْبَتَّةَ، وَسُنَّتُهُ تَقْتَضِي خِلَافَهُ، وَهُوَ افْتِتَاحُ جَمِيعِ الْخُطَبِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَهُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِنَا قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ» يَعْنِي: شَيْخَ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ.

تَبْدَأُ فَتَقُولُ -كَمَا فَعَلَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ-: الحَمْدُ لِلَّهِ.

الِابْتِدَاءُ: حَقِيقِيٌّ، وَإِضَافِيٌّ.

وَالحَقِيقِيُّ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ شَيْءٌ، كَمَا تَقُولُ فِي بَدْءِ كَلَامِكَ أَوْ تَصْنِيفِكَ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وَأَمَّا الِابْتِدَاءُ الإِضَافِيُّ فَهُوَ مَا تَقَدَّمَ أَمَامَ المَقْصُودِ، وَإِنْ سَبَقَهُ شَيْءٌ آخَرُ، مِثْلُ: الحَمْدُ لِلَّهِ، إِذَا جِئْتَ بِهَا بَعْدَ البَسْمَلَةِ.

«الحَمْدُ لِلَّهِ»:

«**اللهُ**»: عَلَمٌ عَلَىٰ البَارِي جَلَّوَعَلَا، ذَكَرَ سِيبَوَيْه أَنَّهُ أَعْرَفُ المَعَارِفِ، وَعَلَمٌ عَلَىٰ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، وَمَعْنَاهُ: ذُو الأُلُوهِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي تَتْبَعُهُ جَمِيعُ الأَسْمَاءِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١- ٢].

لَا نَقُولُ: إِنَّ لَفْظَ الجَلَالَةِ: ﴿ٱللَّهِ﴾ صِفَةٌ، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾.

لَا نَقُولُ: إِنَّ لَفْظَ الجَلَالَةِ صِفَةٌ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ عَطْفُ بَيَانٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَفْظُ الجَلَالَةِ تَابِعًا تَبَعِيَّةَ النَّعْتِ لِلمَنْعُوتِ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ الِاسْمُ الأَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣- ٢٤] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

فَأَجْرَىٰ الأَسْمَاءَ البَاقِيَةَ كُلَّهَا صِفَاتٍ لَهُ.

وَاخْتَلَفُوا: هَلْ لَفْظُ الجَلَالَةِ: «اللهُ» جَامِدٌ أَوْ مُشْتَقٌّ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ: أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ مُشْتَقٌّ.

المُشْتَقُّ مِنَ الأَسْمَاءِ: مَا كَانَ مَأْخُوذًا مِنَ الفِعْلِ كَعَالِمٍ، وَمُتَعَلِّمٍ، وَمُحْسِنٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الجَامِدُ مِنَ الأَسْمَاءِ: فَمَا لَا يَكُونُ مَأْخُوذًا مِنَ الفِعْلِ؛ كَـ: حَجَرٍ، وَسَقْفٍ، وَدِرْهَمٍ.

فَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِ الجَلَالَةِ؛ هَلْ هُوَ جَامِدٌ أَوْ مُشْتَقٌّ؟

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ مَا رُوِيَ لَنَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ».

فَاللهُ: ذُو الأُلُوهِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ.

www.menhaj-um.com

ذَكَرَ سِيبَوَيْهِ فِي «الكِتَابِ» عَنِ الخَلِيلِ أَنَّ أَصْلَهُ: (إِلَاهٌ)، مِثْلُ: فِعَالٌ، فَأُدْخِلَتِ الأَلِفُ وَاللَّامُ بَدَلًا مِنَ الهَمْزَةِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: «مِثْلُ: النَّاسُ أَصْلُهُ أُنَاسٌ».

وَقَالَ الكِسَائِيُّ وَالفَرَّاءُ: «أَصْلُهُ الإِلَهُ حَذَفُوا الْهَمْزَةُ، وَأَدْغَمُوا اللَّامَ الأُولَىٰ فِي الثَّانِيَةِ».

فَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ: أَلِهَ الرَّجُلُ إِذَا تَعَبَّدَ، كَمَا قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]؛ أَيْ: عِبَادَتَكَ، وَأَصْلُهُ -الإِلَهُ-، أَيْ: المَعْبُودُ، فَحُذِفَتِ الهَمْزَةُ الَّتِي هِيَ فَاءُ الكَلِمَةُ، فَالْتَقَتِ اللَّامُ الَّتِي هِيَ عَيْنُهَا مَعَ اللَّامِ الَّتِي لِلتَّعْرِيفِ، وَأُدْغِمَتْ إِحْدَاهُمَا فِي الأُخْرَىٰ فَصَارَتَا فِي اللَّفْظِ لَامًا وَاحِدَةً مُشَدَّدَةً، وَفُخِّمَتْ تَعْظِيمًا، فَقِيلَ: اللهُ.

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَوْلُ الصَّحِيحُ أَنَّ «اللهَ» أَصْلُهُ: «الْإِلَهُ» كَمَا هُوَ قَوْلُ سِيبَوَيْهِ وَجُمْهُورُ أَصْحَابِهِ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِنْهُمْ، وَأَنَّ اسْمَ «اللهِ» تَعَالَىٰ: هُوَ الجَامِعُ لِجَمِيعِ مَعَانِي الأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ العُلَىٰ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَزَعَمَ السُّهَيْلِيُّ وَشَيْخُهُ ابْنُ العَرَبِيِّ أَنَّ اسْمَ: «الله» غَيْرُ مُشْتَقٍّ؛ لِأَنَّ الِاشْتِقَاقَ يَسْتَلْزِمُ مَادَّةً يُشْتَقُّ مِنْهَا، وَاسْمُهُ تَعَالَىٰ قَدِيمٌ، وَالقَدِيمُ لَا مَادَّةَ لَهُ فَيَسْتَحِيلُ الِاشْتِقَاقُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِالِاشْتِقَاقِ هَذَا المَعْنَىٰ، وَأَنَّهُ مُسْتَمَدٌّ مِنْ أَصْلٍ آخَرَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ قَالُوا بِالِاشْتِقَاقِ لَمْ يُرِيدُوا هَذَا المَعْنَىٰ، وَلَا أَلَمَّ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّهُ دَالٌّ عَلَىٰ صِفَةٍ لَهُ تَعَالَىٰ، وَهِيَ: الإِلَهِيَّةُ، كَسَائِرِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ كَالعَلِيمِ، وَالقَدِيرِ، وَالغَفُورِ، وَالرَّحِيمِ، وَالسَّمِيعِ، وَالبَصِيرِ؛ فَإِنَّ

هَذِهِ الأَسْمَاءَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ مَصَادِرِهَا بِلَا رَيْبٍ وَهِيَ قَدِيمَةٌ، وَلَكِنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ الصِّفَاتِ كَالعِلْمِ، وَالقُدْرَةِ، وَالمَغْفِرَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالبَصَرِ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ مَصَادِرِهَا وَهِيَ قَدِيمَةٌ، وَالقَدِيمُ لَا مَادَّةَ لَهُ، فَمَا كَانَ جَوَابُكُمْ عَنْ هَذِهِ الأَسْمَاءِ فَهُوَ جَوَابُ القَائِلِينَ بِاشْتِقَاقِ اسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ.

ثُمَّ الجَوَابُ عَنِ الجَمِيعِ: أَنَّا لَا نَعْنِي بِالِاشْتِقَاقِ إِلَّا أَنَّهَا مُلَاقِيَةٌ لِمَصَادِرِهَا فِي اللَّفْظِ وَالمَعْنَىٰ، لَا أَنَّهَا مُتَوَلِّدَةٌ مِنْهَا تَوَلُّدَ الفَرْعِ مِنْ أَصْلِهِ، وَتَسْمِيَةُ النُّحَاةِ لِلمَصْدَرِ وَالمُشْتَقِّ مِنْهُ أَصْلًا وَفَرْعًا لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ أَحَدَهُمَا تَوَلَّدَ مِنَ الآخَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَتَضَمَّنُ الآخَرَ وَزِيَادَةً».

ذَكَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ العَلَّامَةَ ابْنَ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ لِهَذَا الِاسْمِ الشَّرِيفِ «الله» عَشْرَ خَصَائِصَ لَفْظِيَّةٍ، وَسَاقَهَا ثُمَّ قَالَ: «وَأَمَّا خَصَائِصُهُ المَعْنَوِيَّةُ فَقَدْ قَالَ فِيهَا أَعْلَمُ الخَلْقِ بِهِ ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَيْفَ تُحْصِي خَصَائِصَ اسْمٍ لِمُسَمَّاهُ كُلُّ كَمَالٍ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَكُلُّ مَدْحٍ، وَكُلُّ حَمْدٍ، وَكُلُّ ثَنَاءٍ، وَكُلُّ مَجْدٍ، وَكُلُّ جَلَالٍ، وَكُلُّ إِكْرَامٍ، وَكُلُّ عِزٍّ، وَكُلُّ جَمَالٍ، وَكُلُّ خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ وَبِرٍّ وَفَضْلٍ؟ فَذَلِكَ كُلُّهُ لَهُ وَمِنْهُ.

فَمَا ذُكِرَ هَذَا الِاسْمُ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَهُ، وَلَا عِنْدَ خَوْفٍ إِلَّا أَزَالَهُ، وَلَا عِنْدَ كَرْبٍ إِلَّا كَشَفَهُ، وَلَا عِنْدَ هَمٍّ وَغَمٍّ إِلَّا فَرَّجَهُ، وَلَا عِنْدَ ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ، وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ ضَعِيفٌ إِلَّا أَفَادَهُ القُوَّةَ، وَلَا ذَلِيلٌ إِلَّا أَنَالَهُ العِزَّ، وَلَا فَقِيرٌ إِلَّا أَصَارَهُ غَنِيًّا، وَلَا

مُسْتَوْحِشٌ إِلَّا آنَسَهُ، وَلَا مَغْلُوبٌ إِلَّا أَيَّدَهُ وَنَصَرَهُ، وَلَا مُضْطَرٌّ إِلَّا كَشَفَ ضُرَّهُ، وَلَا شَرِيدٌ إِلَّا آوَاهُ.

فَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي تُكْشَفُ بِهِ الكُرُبَاتُ، وَتُسْتَنْزَلُ بِهِ البَرَكَاتُ، وَتُجَابُ بِهِ الدَّعَوَاتُ، وَتُقَالُ بِهِ العَثَرَاتُ، وَتُسْتَدْفَعُ بِهِ السَّيِّئَاتُ، وَتُسْتَجْلَبُ بِهِ الحَسَنَاتُ.

وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَبِهِ أُنْزِلَتِ الكُتُبُ، وَبِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَبِهِ شُرِعَتِ الشَّرَائِعُ، وَبِهِ قَامَتِ الحُدُودُ، وَبِهِ شُرِعَ الجِهَادُ، وَبِهِ انْقَسَمَتِ الخَلِيقَةُ إِلَىٰ السُّعَدَاءِ وَالأَشْقِيَاءِ، وَبِهِ حَقَّتِ الحَاقَّةُ، وَوَقَعَتِ الوَاقِعَةُ، وَبِهِ وُضِعَتِ المَوَازِينُ القِسْطُ، وَنُصِبَ الصِّرَاطُ، وَقَامَ سُوقُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَبِهِ عُبِدَ رَبُّ العَالَمِينَ وَحُمِدَ، وَبِحَقِّهِ بُعِثَتِ الرُّسُلُ، وَعَنْهُ السُّؤَالُ فِي القَبْرِ وَيَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَبِهِ الخِصَامُ، وَإِلَيْهِ المُحَاكَمَةُ، وَفِيهِ المُوَالَاةُ وَالمُعَادَاةُ.

وَبِهِ سَعِدَ مَنْ عَرَفَهُ وَقَامَ بِحَقِّهِ، وَبِهِ شَقِيَ مَنْ جَهِلَهُ وَتَرَكَ حَقَّهُ؛ فَهُوَ سِرُّ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، وَبِهِ قَامَا وَثَبَتَا، وَإِلَيْهِ انْتَهَيَا، فَالخَلْقُ وَالأَمْرُ بِهِ وَإِلَيْهِ وَلِأَجْلِهِ، فَمَا وُجِدَ خَلْقٌ، وَلَا أَمْرٌ، وَلَا ثَوَابٌ، وَلَا عِقَابٌ إِلَّا مُبْتَدِئًا مِنْهُ مُنْتَهِيًا إِلَيْهِ، وَذَلِكَ مُوجِبُهُ وَمُقْتَضَاهُ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، إِلَىٰ آخِرِ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ».

www.menhag-un.com

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ وَالشَّرْعِيُّ لِلْمَلِكِ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ المَلِكِ»:

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وَكَذَلِكَ المَلِيكُ وَالمَالِكُ، فَهِيَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الحُسْنَى.

قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ﴾ [القمر: ٥٤- ٥٥].

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ:

المُلْكُ: هُوَ احْتِوَاءُ الشَّيْءِ، وَالقُدْرَةُ عَلَى الِاسْتِبْدَادِ بِهِ، وَالمَلِكُ هُوَ النَّافِذُ الأَمْرِ فِي مُلْكِهِ، وَالفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الأَسْمَاءِ: المَلِكُ وَالمَلِيكُ وَالمَالِكُ:

أَنَّ المَالِكَ هُوَ صَاحِبُ المُلْكِ، أَوْ مَنْ لَهُ مُلْكُ الشَّيْءِ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ بِفِعْلِهِ.

وَالمَلِكُ هُوَ المُتَصَرِّفُ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ.

وَالمَلِيكُ مِنْ صِيَغِ المُبَالَغَةِ، وَهُوَ المَالِكُ العَظِيمُ المُلْكِ.

فَهُوَ اسْمٌ يَدُلُّ عَلَىٰ العُلُوِّ المُطْلَقِ لِلمَلِكِ فِي مُلْكِهِ وَمِلْكِيَّتِهِ، فَلَهُ عُلُوُّ الشَّأْنِ وَالقَهْرِ، وَالفَوْقِيَّةُ فِي وَصْفِ المِلْكِيَّةِ عَلَىٰ الدَّوَامِ أَزَلًا وَأَبَدًا، فَهَذَا الِاسْمُ يَشْمَلُ مَعْنَىٰ المُلْكِ وَالمَالِكِ -يَعْنِي: اسْمَ اللهِ «الْمَلِيكِ»-.

وَأَمَّا المَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ:

فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ المَلِكُ المَلِيكُ المَالِكُ لَهُ المُلْكُ كُلُّهُ، وَلَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ، أَزِمَّةُ الأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا مِنْهُ، وَمَرَدُّهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

وَمِنْ تَمَامِ مُلْكِهِ ﷻ: أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي أَقْطَارِ مُلْكِهِ، عَالِمًا بِنُفُوسِ عَبِيدِهِ، مُطَّلِعًا عَلَىٰ أَسْرَارِهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ.

وَمِنْ كَمَالِ مُلْكِهِ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ مُتَفَرِّدٌ وَحْدَهُ بِتَدْبِيرِ المَمْلَكَةِ: يَسْمَعُ وَيَرَىٰ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَيُكْرِمُ وَيُهِينُ، وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَىٰ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيُقَدِّرُ وَيَقْضِي.

سُلْطَانُهُ ﷻ نَافِذٌ فِي السَّمَاءِ وَأَقْطَارِهَا، وَفِي الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا وَمَا تَحْتَهَا، وَفِي البِحَارِ وَالجَوِّ، يُدَاوِلُ الأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُقَلِّبُ الدُّوَلَ، يَذْهَبُ بِدَوْلَةٍ وَيَأْتِي بِأُخْرَىٰ، فَهُوَ تَعَالَىٰ مَالِكُ المُلُوكِ وَالأَمْلَاكِ كُلِّهَا، يُصَرِّفُهُمْ تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُوَ يُؤْتِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، فَهُوَ المُتَصَرِّفُ فِي المَمَالِكِ كُلِّهَا وَحْدَهُ تَصَرُّفَ مَلِكٍ قَادِرٍ قَاهِرٍ رَحِيمٍ، فَتَصَرُّفُهُ فِي المَمْلَكَةِ دَائِرٌ بَيْنَ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَالحِكْمَةِ وَالمَصْلَحَةِ وَالرَّحْمَةِ.

لَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ فِي مُلْكِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

مِنْ جَلَالِ مُلْكِهِ تَعَالَىٰ: أَنَّهُ مُقَارِنٌ لِحَمْدِهِ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ وَالأَوْقَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، فَالمُلْكُ وَالحَمْدُ فِي حَقِّهِ مُتَلَازِمَانِ، فَكُلُّ مَا شَمِلَهُ مُلْكُهُ وَقُدْرَتُهُ: شَمِلَهُ حَمْدُهُ، فَهُوَ مَحْمُودٌ فِي مُلْكِهِ، وَلَهُ المُلْكُ وَالقُدْرَةُ مَعَ حَمْدِهِ، فَكَمَا يَسْتَحِيلُ خُرُوجُ شَيْءٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ عَنْ مُلْكِهِ وَقُدْرَتِهِ يَسْتَحِيلُ خُرُوجُهَا عَنْ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَإِنَّ المُلْكَ بِلَا حَمْدٍ يَسْتَلْزِمُ نَقْصًا؛ وَلِأَنَّ الحَمْدَ بِلَا مُلْكٍ يَسْتَلْزِمُ عَجْزًا، وَالحَمْدُ مَعَ المُلْكِ غَايَةُ الكَمَالِ وَالجَلَالِ، فَوَسَّطَ المُلْكَ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ، فَجَعَلَهُ مَحْفُوظًا بِحَمْدٍ قَبْلَهُ، وَحَمْدٍ بَعْدَهُ.

وَمِنْ جَلَالِهِ: أَنَّهُ لَا يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ مُعَارِضٌ، وَلَا يُمَانِعُهُ مُنَاقِضٌ، فَهُوَ بِتَقْدِيرِهِ مُتَفَرِّدٌ، وَبِتَدْبِيرِهِ مُتَوَحِّدٌ، لَيْسَ لِأَمْرِهِ مَرَدٌّ، وَلَا لِحُكْمِهِ رَدٌّ.

وَمِنْ جَلَالِ مُلْكِهِ تَعَالَىٰ: أَنَّ مُلْكَهُ حَقٌّ ثَابِتٌ بِلَا زَوَالٍ، وَلَا انْتِقَالٍ، وَلَا نُقْصَانٍ عَلَىٰ الدَّوَامِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِيهِ، وَلَا مُعِينَ لَهُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، وَصَرَّفَ أُمُورَهُ فِيهِ بِالحِكْمَةِ وَالعَدْلِ وَبِالحَقِّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

www.menhag-un.com

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ وَالشَّرْعِيُّ لِلْجَبَّارِ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ المَلِكِ الجَبَّارِ»:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وَالجَبَّارُ فِي اللُّغَةِ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ اسْمِ الفَاعِلِ (الجَابِرِ)، وَيَدُلُّ عَلَىٰ عِدَّةِ مَعَانٍ مِنَ الكَمَالِ وَالجَلَالِ مِنْهَا:

العَظِيمُ القَوِيُّ، وَيُطْلَقُ الجَبَّارُ عَلَىٰ الطَّوِيلِ الَّذِي فَاتَ يَدَ المُتَنَاوِلِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: نَخْلَةٌ جَبَّارَةٌ، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ المُتَكَبِّرِ المُتَعَظِّمِ، المُمْتَنِعِ عَنِ الذُّلِّ وَالقَهْرِ مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ جَبْرِيَّةٌ وَجَبَرُوتٌ، أَيْ: تَكَبُّرٌ وَعَظَمَةٌ، وَإِصْلَاحِ الشَّيْءِ بِضَرْبٍ مِنَ القَهْرِ، وَمِنْهُ: جَبَرَ العَظْمَ، أَيْ: أَصْلَحَ كَسْرَهُ، وَجَبَرَ الفَقِيرَ، أَيْ: أَغْنَاهُ.

وَأَمَّا المَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ: فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الجَبَّارُ الَّذِي قَهَرَ خَلْقَهُ عَلَىٰ مَا يُرِيدُ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الحِكْمَةِ وَالعَقْلِ، وَمِنْ ذَلِكَ: دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِكُلِّ عَبِيدِهِ.

وَهُوَ الجَبَّارُ المُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ، المُصَرِّفُهُمْ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، الَّذِي جَبَرَ مَفَاقِرَهُمْ فَكَفَاهُمْ أَسْبَابَ عَيْشِهِمْ وَرَزَقَهُمْ.

وَهُوَ الجَبَّارُ الَّذِي يَجْبُرُ ضَعْفَ الضَّعِيفِ مِنْ عِبَادِهِ، يَجْبُرُ الكَسِيرَ، وَيُغْنِي الفَقِيرَ، وَيُيَسِّرُ عَلَىٰ المُعْسِرِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَيَجْبُرُ القُلُوبَ المُنْكَسِرَةَ مِنْ أَجْلِهِ الخَاضِعِينَ لِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَيَجْبُرُ ضَعْفَ الأَبْدَانِ، فَيُيَسِّرُ أَسْبَابَ الشِّفَاءِ لَهَا، وَيَجْبُرُ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ بِإِصْلَاحِ حَالِهِ وَمَآلِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَهَذَا الجَبْرُ فِي حَقِيقَتِهِ إِصْلَاحٌ لِلعَبْدِ، وَدَفْعٌ لِجَمِيعِ المَكَارِهِ عَنْهُ.

وَهُوَ الجَبَّارُ العَالِي فَوْقَ خَلْقِهِ الَّذِي عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ، وَعَلَىٰ المُلْكِ احْتَوَىٰ، وَعَلَىٰ السُّلْطَانِ وَأَنْوَاعِ التَّصَارِيفِ اسْتَوْلَىٰ، وَهُوَ المَنِيعُ الَّذِي لَا يُنَالُ، فَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ، وَلَا يُدَانِيهِ شَيْءٌ.

وَهُوَ المُتَعَاظِمُ المُتَكَبِّرُ تَقَدَّسَ أَنْ تَنَالَهُ النَّقَائِصُ وَصِفَاتُ الحَدَثِ، وَعَنْ مُمَاثَلَةِ أَحَدٍ، وَعَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كُفُوٌ أَوْ ضِدٌّ أَوْ نِدٌّ أَوْ سَمِيٌّ أَوْ شَرِيكٌ فِي خَصَائِصِهِ وَحُقُوقِهِ.

وَهُوَ الجَبَّارُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا كَانَ كَمَا أَرَادَ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ كَوْنُهُ عَنْ حَالِ إِرَادَتِهِ فَيَكُونُ فِعْلُهُ لَهُ كَالجَبْرِ.

مِنْ جَلَالِهِ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَىٰ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، بَلْ لَهُمُ المَشِيئَةُ فِي ذَلِكَ وَالِاخْتِيَارُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فَكَوْنُهُ ﷻ جَبَرَ الخَلْقَ عَلَىٰ مَا شَاءَ مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ يَعْنِي أَنَّهُ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا ارْتَضَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورىٰ: ١٣]،

فَشَرَعَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ مَا شَاءَ، وَأَرْسَلَ لَهُمْ الرُّسْلَ، وَأَمَرَهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَنَهَاهُمْ عَنِ العُدُولِ عَنْ طَرِيقِهِمْ، فَهُوَ ﷻ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ وَأَقْدَرُ أَنْ يُجْبِرَ عَبْدَهُ وَيُكْرِهَهُ عَلَىٰ فِعْلِ مَا يَشَاءُ مِنْهُ.

وَمِنْ جَلَالِهِ تَعَالَىٰ: أَنَّهُ كَمَا يَجْمَعُ صِفَاتِ القَهْرِ وَالعُلُوِّ وَالعَظَمَةِ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ صِفَاتِ الرَّحْمَةِ وَالعَدْلِ وَالحِكْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، مَعَ نَزَاهَتِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقَائِصِ كَالظُّلْمِ وَالجَوْرِ وَكُلِّ آفَةٍ، فَقَهْرُهُ لِعِبَادِهِ وَجَبْرِهِ لَهُمْ عَلَىٰ مَا أَرَادَ حَسْبَ مَا تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ، فَبِجَبَرُوتِهِ قَهَرَ الجَبَابِرَةَ، وَأَذَلَّ الأَكَاسِرَةَ، وَأَنْصَفَ المَظْلُومِينَ مِنَ الظَّلَمَةِ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ عَلَىٰ المُعَانِدِينَ وَالكَافِرِينَ وَالفَجَرَةِ، فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ جَبَّارٍ مِنَ البَشَرِ قَصَمَ اللهُ ظَهْرَهُ، وَرَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، فَهُوَ تَعَالَىٰ يَقْصِمُ ظُهُورَ العُتَاةِ، وَيُنَكِّلُ بِالجُنَاةِ، وَيُشَدِّدُ العِقَابَ عَلَىٰ الطُّغَاةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ الإِعْذَارِ وَالإِنْذَارِ، وَبَعْدَ التَّمْكِينِ وَالإِمْهَالِ.

www.menhag-un.com

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ وَالشَّرْعِيُّ لِلْوَاحِدِ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ المَلِكِ الجَبَّارِ، الوَاحِدِ القَهَّارِ»:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وَقَالَ -عَزَّ شَأْنُهُ-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

الأَحَدُ: اسْمٌ بُنِيَ لِنَفْيِ مَا يُذْكَرُ مَعَهُ مِنَ العَدَدِ، تَقُولُ: مَا أَتَانِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَمَعْنَاهُ: لَا وَاحِدَ أَتَانِي وَلَا اثْنَانَ، وَهُوَ بِالنَّفْيِ أَعَمُّ مِنَ الوَاحِدِ، وَلَا يَجُوزُ وَصْفُ شَيْءٍ فِي جَانِبِ الإِثْبَاتِ بِأَحَدٍ إِلَّا اللهُ الأَحَدُ، فَلَا يُقَالُ: رَجُلٌ أَحَدٌ، وَلَا: ثَوْبٌ أَحَدٌ، لَكِنْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وَالوَاحِدُ فِي كَلَامِ العَرَبِ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: اسْمٌ لِمُفْتَتَحِ العَدَدِ، فَيُقَالُ: وَاحِدٌ، اثْنَانِ، وَيُمْكِنُ جَعْلُهُ وَصْفًا لِأَيِّ شَيْءٍ يُرِيدُ، فَيَصِحُّ القَوْلُ: رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَثَوْبٌ وَاحِدٌ.

المَعْنَىٰ الثَّانِي: هُوَ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ، يُقَالُ: فُلَانٌ وَاحِدُ العَالَمِ، أَيْ: لَا نَظِيرَ لَهُ فِي العَالَمِ.

www.menhag-un.com

وَأَمَّا المَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ: فَاللهُ جَلَّوَعَلَا هُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الَّذِي تَوَحَّدَ بِجَمِيعِ الكَمَالَاتِ، وَتَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَبَايَنَ بِأَحَدِيَّتِهِ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ؛ بِحَيْثُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا مُشَارِكٌ، فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ تَوَحَّدُ فِي ذَاتِهِ فِي كَمَالِهَا وَعَظَمَتِهَا وَعُلُوِّهَا عَلَىٰ جَمِيعِ الخَلَائِقِ، فَتَعَالَتْ ذَاتُهُ أَنْ تُشْبِهَ شَيْئًا مِنَ الذَّوَاتِ أَصْلًا.

وَهُوَ الَّذِي تَوَحَّدَ فِي كَمَالِ صِفَاتِهِ، فَكُلُّهَا عُلَا لَا نَقْصَ فِيهَا، وَلَا مَثِيلَ لَهَا، وَلَا أَعْلَىٰ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا صِفَاتُ حَمْدٍ وَثَنَاءٍ وَمَجْدٍ.

وَتَوَحَّدَ فِي كَمَالِ أَسْمَائِهِ فَكُلُّهَا حُسْنَىٰ لَيْسَ فِيهَا اسْمُ سُوءٍ، فَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا، وَلَا سَمِيَّ لَهُ بِهَا، وَلَيْسَ لَهَا مُنْتَهًىٰ فِي عَدَدِهَا، وَكَمَالِ مُتَعَلِّقَاتِهَا؛ لِإِنْبَائِهَا عَنْ أَحْسَنِ المَعَانِي وَأَشْرَفِهَا.

وَهُوَ الَّذِي تَوَحَّدَ فِي كَمَالِ أَفْعَالِهِ؛ فَكُلُّهَا حِكْمَةٌ وَهُدًىٰ، لَيْسَ فِيهَا فِعْلٌ خَالٍ عَنِ المَصْلَحَةِ، مَلَأَتِ الخَلِيقَةَ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَإِحْسَانًا.

وَهُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِأُلُوهِيَّتِهِ فِي الوُجُودِ بِلَا ابْتِدَاءٍ، وَآخِرِيَّتِهِ بِالدَّيْمُومَةِ بِلَا انْتِهَاءٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ**﴾ [الحديد: ٣]، وَهُوَ المُتَفَرِّدُ لَا مَثِيلَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ لَهُ، مُتَوَحِّدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ، وَهُوَ تَعَالَىٰ المُتَفَرِّدُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَسُوءٍ؛ لِكَمَالِهِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ وَالتَّمَامِ وَالكَمَالِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَفِي كُلِّ حَالٍ.

وَهُوَ المُتَفَرِّدُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ؛ فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُعِينَ وَلَا مُنَازِعَ وَلَا مُغَالِبَ، وَالمُنَزَّهُ عَنِ الشَّرِيكِ فِي خَصَائِصِهِ وَحُقُوقِهِ.

وَهُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ فِي الأُلُوهِيَّةِ، فَهُوَ الإِلَهُ المَعْبُودُ بِحَقٍّ، المُتَفَرِّدُ فِي المَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلَا ضِدٌّ وَلَا عَدِيلٌ.

وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَتَفَرَّعْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا تَفَرَّعَ هُوَ عَنْ شَيْءٍ، وَلَيْسَ لَهُ مُكَافِئٌ مِنْ خَلْقِهِ يُسَامِيهِ أَوْ يُسَاوِيهِ، أَوْ يَقْرُبُ مِنْهُ أَوْ يُدَانِيهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُوَحِّدُهُ عِبَادُهُ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَيَقْصِدُونَهُ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ وَالشَّرْعِيُّ لِلقَهَّارِ

«**الحَمْدُ للهِ المَلِكِ الجَبَّارِ، الوَاحِدِ القَهَّارِ**».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وَأَمَّا المَعْنَىٰ اللُّغَوِيُّ لِلقَهَّارِ: فَالقَهْرُ مَأْخُوذٌ مِنَ الغَلَبَةِ، وَالعُلُوِّ وَالتَّذْلِيلِ مَعًا، وَيُسْتَعْمَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا مُنْفَرِدًا (القَاهِرُ وَالقَهَّارُ).

وَالفَرْقُ بَيْنَ القَاهِرِ وَالقَهَّارِ: أَنَّ القَاهِرَ هُوَ الَّذِي لَهُ عُلُوُّ القَهْرِ الكُلِّيِّ الْمُطْلَقِ عَلَىٰ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ تَنَوُّعِهَا، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

لَهُ عُلُوُّ القَهْرِ مُقْتَرِنًا بِعُلُوِّ الشَّأْنِ وَالفَوْقِيَّةِ.

وَالقَهَّارُ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ القَاهِرِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ، فَيَقْتَضِي تَكْثِيرَ القَهْرِ، فَهُوَ تَعَالَىٰ قَهَرَ مِنَ الجَبَابِرَةِ مَا لَا يُحْصَىٰ.

وَأَمَّا المَعْنَىٰ الشَّرْعِيَّ: فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ القَاهِرُ القَهَّارُ، الَّذِي قَهَرَ جَمِيعَ الكَائِنَاتِ، وَذَلَّتْ لَهُ جَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ، وَدَانَتْ لِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ مَوَادُّ وَعَنَاصِرُ

العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالعَالَمِ السُّفْلِيِّ، فَهُوَ تَعَالَىٰ القَهَّارُ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ بِالتَّسْخِيرِ، وَأَهْلُ الأَرْضِ بِالتَّعْبِيدِ وَالتَّذْلِيلِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ القَهَّارُ المُسْتَعْلِي عَلَىٰ كُلِّ الخَلَائِقِ بِعُلُوِّ الذَّاتِ، وَعُلُوِّ السُّلْطَانِ، وَعُلُوِّ القَهْرِ وَالمَكَانَةِ وَالقَدْرِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَهُوَ الَّذِي قَهَرَ المُعَانِدِينَ بِمَا أَقَامَ مِنَ الآيَاتِ وَالدَّلَالَاتِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ المُسْتَحِقُّ لِلعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَقَهَرَ جَبَابِرَةَ خَلْقِهِ بِالعُقُوبَةِ بِعِزِّ سُلْطَانِهِ، وَقَهَرَ بِالمَوْتِ كُلَّ خَلْقِهِ.

وَهُوَ القَهَّارُ الَّذِي يَقْصِمُ ظُهُورَ العُتَاةِ وَالجَبَابِرَةِ، وَيُذِلُّ رِقَابَ الطُّغَاةِ وَالأَكَاسِرَةِ، وَيَقْطَعُ الآمَالَ بِالحَافِرَةِ، وَهُوَ تَعَالَىٰ يَقْهَرُ العِبَادَ بِالحَشْرِ إِلَىٰ أَرْضِ المَعَادِ؛ لِيُقِيمَ لَهُمْ مِيزَانَ العَدْلِ وَالحَقِّ وَالصَّوَابِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَقْهَرُ مَنْ نَازَعَهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ بِالحُجَّةِ وَالبَيَانِ، وَالغَلَبَةِ وَالذُّلِّ وَالهَوَانِ.

www.menhag-un.com

مَعْنَى شَهَادَةِ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»:

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: نَفْيُ اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، وَإِثْبَاتُهَا لِلَّهِ ﷻ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وَتَفْسِيرُهَا -أَيْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ- الَّذِي يُوَضِّحُهَا وَيُبَيِّنُهَا بَيَانًا تَامًّا: مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أَيْ: يُرِيدُ إِمَامَ الحُنَفَاءِ ﴿إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾: آزَرَ ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾: الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهُمْ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِمْ، قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أَيْ: بَرِيءٌ، وَمُبْغِضٌ، وَمُجْتَنِبٌ، وَمُعَادٍ لَكُمْ يَا أَهْلَ الشِّرْكِ، وَكَذَلِكَ بَرِيءٌ ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]، مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الآلِهَةِ، وَهَذَا فِيهِ مَعْنَىٰ: لَا إِلَهَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧]: ابْتَدَأَ خَلْقِي، فَإِنِّي أَعْبُدُهُ، وَفِيهِ مَعْنَىٰ: «إِلَّا اللهُ»، فَاسْتَثْنَىٰ مِنَ المَعْبُودِينَ رَبَّهُ.

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧]: يُرْشِدُنِي لِدِينِهِ القَوِيمِ، وَصِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ لِلهِدَايَةِ لِلعِلْمِ وَالعَمَلِ بِالحَقِّ، كَمَا فَطَرَنِي وَدَبَّرَنِي بِمَا يُصْلِحُ دِينِي وَدُنْيَايَ.

وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ نَتَأَسَّىٰ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أَيْ: وَجَعَلَ الخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ إِخْلَاصِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ﴾: عَظِيمَةً ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾: وَنَسْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: إِلَيْهَا ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]، فَيَقْتَدُونَ بِمَنْ هَدَاهُ اللهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَيْهَا.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «أَمَرَنَا تَعَالَىٰ أَنَّ نَتَأَسَّىٰ بِإِمَامِ هَذَا التَّوْحِيدِ فِي نَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ».

فَتَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَىٰ كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: هِيَ البَرَاءَةُ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، وَإِخْلَاصُ العِبَادَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَهَذَا هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الرُّسُلِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَهُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]».

وَمَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ، وَالوَلَاءُ وَالبَرَاءُ، وَتَأْكِيدُ النَّفْيِ: لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَأْكِيدُ الإِثْبَاتِ: وَحْدَهُ.

قَالَ المُصَنِّفُ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ».

مَعْنَاهَا -مَعْنَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ-: لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ بِحَقٍّ، وَيَجِبُ أَنْ يُؤْتَىٰ فِي بَيَانِ مَعْنَاهَا بِهَذَا القَيْدِ، وَهُوَ كَلِمَةُ: بِحَقٍّ؛ لِأَنَّ المَعْبُودَاتِ مِنْ دُونِ اللهِ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّهَا مَعْبُودَاتٌ بَاطِلَةٌ، كَعِبَادَةِ أَهْلِ القُبُورِ، وَالأَشْجَارِ، وَالأَصْنَامِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج: ٦٢].

فَلَا أَحَدَ مِنْهُمْ يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ، بَلْ عِبَادَتُهُمْ بَاطِلَةٌ، وَلَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، فَاللهُ هُوَ المَعْبُودُ بِحَقٍّ، وَكُلُّ مَأْلُوهٍ سِوَىٰ اللهِ فَأُلُوهِيَّتُهُ أَبْطَلُ البَاطِلِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: نَفْيُ الإِلَهِيَّةِ عَنْ غَيْرِ اللهِ، وَإِثْبَاتُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَيْسَ مَعْنَاهَا: لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللهُ، أَوْ: لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ هَذِهِ المَعَانِيَ لِإِثْبَاتِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا تُثْبِتُ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ الَّذِي هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّذِي أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الكُتُبُ فِي تَقْرِيرِهِ وَإِيضَاحِهِ.

فَمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَغَيْرُ اللهِ إِنْ عُبِدَ فَبِبَاطِلٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[الحج: ٦٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِلَهُ هُوَ الْمَأْلُوهُ، وَالمَأْلُوهُ: هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ».

وَفِي اللُّغَةِ: يُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ إِذَا تَعَبَّدَ، وَالهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالهَاءُ (أَلِهَ) أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّعَبُّدُ.

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِفْرَادِ اللهِ وَحْدَهُ بِالعِبَادَةِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الخِلَافُ، وَدَبَّتْ بِسَبَبِهِ الخُصُومَةُ، وَلِأَجْلِهِ نُصِبَ سُوقُ الجِهَادِ.

فَالأُلُوهِيَّةُ مَعْنَاهَا: العِبَادَةُ، وَمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَعُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ وَالفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ يُفَسِّرُونَ الإِلَهَ بِالمَعْبُودِ، وَالتَّأَلُّهَ بِالتَّعَبُّدِ.

وَأَمَّا العِبَادَةُ فَعَرَّفَهَا بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا: مَا أُمِرَ بِهِ شَرْعًا مِنْ غَيْرِ اضْطِرَادٍ عُرْفِيٍّ، وَلَا اقْتِضَاءٍ عَقْلِيٍّ.

وَالمَأْثُورُ عَنِ السَّلَفِ تَفْسِيرُ العِبَادَةِ بِالطَّاعَةِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ فِعْلُ المَأْمُورِ، وَتَرْكُ المَحْظُورِ مِنْ وَاجِبٍ وَمَنْدُوبٍ، وَتَرْكِ المَنْهِيِّ عَنْهُ مِنْ مُحَرَّمٍ وَمَكْرُوهٍ.

فَمَنْ جَعَلَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ كَالدُّعَاءِ، وَالسُّجُودِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

وَ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» مُتَضَمِّنَةٌ لِلكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: إِثْبَاتُ العِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَهَذَا مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ: البَرَاءَةُ مِنْهُ، وَاعْتِقَادُ بُطْلَانِهِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَالطَّاغُوتُ: اسْمٌ لِكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فَـ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» **لَهَا رُكْنَانِ**: النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ، فَـ(لَا إِلَهَ): تَنْفِي العِبَادَةَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، (إِلَّا اللهُ): تُثْبِتُ جَمِيعَ العِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ.

وَالنَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتْ بِهِ الكُتُبُ، وَهُوَ إِثْبَاتُ الإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِأَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُوَالِيَ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُعَادِيَ إِلَّا فِيهِ، وَلَا يَعْمَلَ إِلَّا لِأَجْلِهِ؛ وَلِذَلِكَ يَتَضَمَّنُ التَّوْحِيدُ الذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ: إِثْبَاتَ مَا أَثْبَتَهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَلَا يَتِمُّ التَّوْحِيدُ إِلَّا بِهِمَا، بِنَفْيِ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ المُرْسَلِينَ حَتَّىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ حَتَّىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِثْبَاتِ الأُلُوهِيَّةِ للهِ عز وجل.

فَلَا يَكْفِي النَّفْيُ، وَلَا يَكْفِي الإِثْبَاتُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الِاثْنَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ.

وَتَفْهَمُ هَذَا حَقَّ الفَهْمِ إِنْ عَرَفْتَ أُسْلُوبَ القَصْرِ، فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ شُجَاعٌ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مِنَ الشُّجْعَانِ سِوَاهُ، بَلْ مَنْ هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ.

وَلَوْ قُلْتَ: مَا زَيْدٌ بِشُجَاعٍ، فَأَنْتَ أَيْضًا لَمْ تَجْعَلْ بِهَذَا النَّفْيِ عَدَمَ الشَّجَاعَةِ مَقْصُورًا عَلَيْهِ.

وَلَكِنَّكَ إِنْ قُلْتَ: مَا شُجَاعٌ إِلَّا زَيْدٌ، فَقَدْ وَحَّدْتَهُ -حِينَئِذٍ- بِالشَّجَاعَةِ.

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، نَفْيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِثْبَاتُهَا لِلَّهِ ﷻ، فَلَا يَكْفِي النَّفْيُ وَحْدَهُ، وَلَا يَكْفِي الإِثْبَاتُ وَحْدَهُ، بَلْ لَابُدَّ مِنَ الِاثْنَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَرْبِيَةُ اللهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا».

الرَّبُّ: هُوَ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَىٰ السَّيِّدِ، وَعَلَىٰ المُتَصَرِّفِ لِلإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَلَا يُسْتَعْمَلُ «الرَبُّ» لِغَيْرِ اللهِ، بَلْ بِالإِضَافَةِ، تَقُولُ: رَبُّ الدَّارِ، رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالبَعِيرِ، وَأَمَّا «الرَّبُّ» فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

«رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»:

الرَّبُّ: هُوَ المُرَبِّي جَمِيعَ العَالَمِينَ، وَهُمْ مَنْ سِوَىٰ اللهِ؛ بِخَلْقِهِ لَهُمْ، وَإِعْدَادِهِ لَهُمُ الآلَاتِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ العَظِيمَةِ الَّتِي لَوْ فَقَدُوهَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُمُ البَقَاءُ، فَمَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ تَعَالَىٰ.

وَتَرْبِيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ لِخَلْقِهِ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ.

فَالعَامَّةُ: خَلْقُهُ لِلمَخْلُوقِينَ، وَرِزْقُهُمْ، وَهِدَايَتُهُمْ لِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمُ الَّتِي فِيهَا بَقَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا.

وَالخَاصَّةُ: تَرْبِيَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ، فَيُرَبِّيهِمْ بِالإِيمَانِ، وَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ، وَيُكَمِّلُهُمْ، وَيَدْفَعُ

عَنْهُمُ الصَّوَارِفَ، وَالعَوَائِقَ الحَائِلَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَحَقِيقَتُهَا تَرْبِيَةُ التَّوْفِيقِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَهِيَ العِصْمَةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَلَعَلَّ هَذَا المَعْنَىٰ هُوَ السِّرُّ فِي كَوْنِ أَكْثَرِ أَدْعِيَةِ الأَنْبِيَاءِ بِلَفْظِ الرَّبِّ؛ فَإِنَّ مَطَالِبَهُمْ كُلَّهَا دَاخِلَةٌ تَحْتَ رُبُوبِيَّتِهِ الخَاصَّةِ.

مِنْ أَسْمَائِهِ جَلَّوَعَلَا: «الرَّبُّ»، يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَىٰ المَالِكِ، وَالسَّيِّدِ، وَالمُدَبِّرِ، وَالمُرَبِّي، وَالقَيِّمِ، وَالمُنْعِمِ.

الرَّبُّ: هُوَ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ، وَالخَلْقُ وَالتَّقْدِيرُ: هُمَا الصِّفَتَانِ الغَالِبَتَانِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ اسْمِ الرَّبِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ ذَلِكَ أَنَّ الخَلْقَ وَالتَّقْدِيرَ مِنْ أَخَصِّ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الكِتَابِ المَجِيدِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَاسْمُ الرَّبِّ لَهُ الْجَمْعُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبْدٌ لَهُ فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ».

«رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»:

السَّمَاوَاتُ: جَمْعُ سَمَاءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ فَهُوَ سَمَاءٌ، فَكُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظَلَّكَ فَهُوَ سَمَاءٌ، «رَبُّ السَّمَاوَاتِ» هِيَ سَبْعٌ.

جَاءَ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ، وَغِلَظُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ.

وَجَمَعَ السَّمَاوَاتِ، وَوَحَّدَ الأَرْضَ قَالَ: «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ الجِنْسَ.

جَمَعَ السَّمَاوَاتِ لِشَرَفِهَا؛ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ المُهَذَّبِ».

«وَمَا بَيْنَهُمَا»: يَعْنِي مِنَ الجَوَاهِرِ وَالأَعْرَاضِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ وَالشَّرْعِيُّ لِلْعَزِيزِ

«رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزِ الغَفَّارِ»:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩].

العَزِيزُ: مِنْ صِيَغِ المُبَالَغَةِ عَلَىٰ وَزْنِ: فَعِيلٍ، وَهَذَا الِاسْمُ الجَلِيلُ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ مَعَانِيَ جَلَالٍ وَكَمَالٍ لَا تُحِيطُ بِهَا العِبَارَةُ، وَلَا يُشَارُ إِلَيْهَا بِإِشَارَةٍ، فَمِنْهَا: أَنَّهُ الغَالِبُ، وَالجَلِيلُ الشَّرِيفُ، وَالرَّفِيعُ الشَّأْنِ وَالقَدْرِ، وَالقَوِيُّ القَاهِرُ، وَالرَّفِيعُ المَنِيعُ، وَالمُنْقَطِعُ النَّظِيرِ الَّذِي يَصْعُبُ مَنَالُهُ وَوُجُودُ مِثْلِهِ، فَهَذَا مِنْ مَعَانِي العَزِيزِ فِي اللُّغَةِ.

وَأَمَّا المَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ: فَاللهُ ﷻ هُوَ العَزِيزُ الَّذِي لَا أَعَزَّ مِنْهُ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، لَهُ جَمِيعُ مَعَانِي العِزَّةِ: وَصْفًا وَمُلْكًا فِي أَسْمَىٰ مَعَانِيهَا، وَأَعْلَىٰ كَمَالِهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، فَهُوَ تَعَالَىٰ العَزِيزُ، لَهُ عِزَّةُ الغَلَبَةِ وَالقَهْرِ، وَهُوَ تَعَالَىٰ الغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَالقَاهِرُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ.

وَلَهُ عِزَّةُ الِامْتِنَاعِ، وَهُوَ المَنِيعُ سُبْحَانَهُ، فَلَا يُنَالُ مِنْهُ، وَلَا يُرَامُ جَنَابُهُ، وَلَا يَلْحَقُهُ سُوءٌ لِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ.

www.menhag-um.com

وَلَه عِزَّةُ القُوَّةِ وَالقُدْرَةِ، وَهُوَ تَعَالَىٰ الشَّدِيدُ فِي قُوَّتِهِ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ الصِّعَابُ، وَلَانَتْ لِقُوَّتِهِ الشَّدَائِدُ الصِّلَابُ، وَهُوَ تَعَالَىٰ المُنْقَطِعُ النَّظِيرُ الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مَثِيلَ لَهُ، وَلَا عَدِيلَ؛ لِكَمَالِهِ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ وَالِاعْتِبَارَاتِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ العَزِيزُ الشَّدِيدُ فِي نِقْمَتِهِ، إِذَا انْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ دَفْعِهِ أَوْ مَنْعِهِ مَتَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَهُوَ تَعَالَىٰ العَزِيزُ الَّذِي يَهَبُ العِزَّةَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَهُوَ الَّذِي لَا يُضَامُ جَارُهُ، وَلَا يَذِلُّ أَنْصَارُهُ، فَيُعِزُّ أَهْلَ الإِيمَانِ، وَيُذِلُّ أَهْلَ الكُفْرَانِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الجَلِيلُ الرَّفِيعُ الشَّأْنِ وَالقَدْرِ، لَهُ شَرَفُ الذَّاتِ، وَالتَّفَرُّدِ فِي كَمَالِ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ، وَمِنْ تَمَامِ عِزَّتِهِ: بَرَاءَتُهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَسُوءٍ وَعَيْبٍ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وَمِنْ كَمَالِ عِزَّتِهِ سُبْحَانَهُ: أَنَّهُ مَنَعَ الأَبْصَارَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَمَنَعَ الأَوْهَامَ أَنْ تُكَيِّفَهُ.

www.menhag-un.com

المَعْنَى اللُّغَوِيُّ وَالشَّرْعِيُّ لِلْغَفَّارِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْغَفُورِ وَالْغَفَّارِ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَزِيزِ الغَفَّارِ»:

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠].

أَصْلُ الغَفْرِ: السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ، وَالمِغْفَرُ: مَا يُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِ المُحَارِبِ حَالَ الحَرْبِ يَتَوَقَّىٰ بِهِ السِّهَامَ، وَهُوَ يُفِيدُ فَائِدَتَيْنِ: السَّتْرُ وَالوِقَايَةُ.

فَالمَغْفِرَةُ: هِيَ سَتْرُ الذَّنْبِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ.

هَذَانِ الِاسْمَانِ الكَرِيمَانِ: الغَفُورُ، وَالغَفَّارُ مِنْ صِيَغِ المُبَالَغَةِ، يَدُلَّانِ عَلَىٰ كَثْرَةِ مَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَثْرَةِ مَنْ يَغْفِرُ لَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، فَالكَثْرَةُ وَاقِعَةٌ فِي الفِعْلِ، وَهُوَ كَثْرَةُ غُفْرَانِهِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، وَوَاقِعَةٌ فِي المَحَلِّ: كَثْرَةُ المَغْفُورِ لَهُمْ.

وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ:

الغَفُورَ: هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ.

وَالغَفَّارُ: هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ وَكَثُرَتْ.

www.menhaj-un.com

فَالغَفُورُ لِلذُّنُوبِ الثِّقَالِ العِظَامِ، وَالغَفَّارُ لِلكَمِّ وَالكَثْرَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ.

فَالغَفُورُ: المُبَالَغَةُ بِاعْتِبَارِ الكَيْفِيَّةِ، وَالغَفَّارُ: المُبَالَغَةُ بِاعْتِبَارِ الكَمِّيَّةِ.

وَأَمَّا المَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ: فَاللهُ جَلَّوَعَلَا هُوَ الغَفُورُ الغَفَّارُ، المُبَالِغُ فِي السَّتْرِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ بِالسِّرِّ وَالجَهَارِ، الَّذِي يُغَطِّيهِمْ بِسِتْرِهِ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ، وَهُوَ تَعَالَىٰ لَا يَطَّلِعُ عَلَىٰ ذُنُوبِ عِبَادِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ، لَا يَشْهِّرُهُمْ وَلَا يَفْضَحُهُمْ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ المُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ مَهْمَا عَظُمَتْ، وَمَهْمَا كَثُرَتْ، لَا تَزَالُ آثَارُ ذَلِكَ تَشْمَلُ الخَلِيقَةَ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَهُوَ يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ إِلَىٰ مَا لَا يُحْصَىٰ، كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ تَوْبَةُ العَبْدِ مِنَ الذَّنْبِ تَكَرَّرَتِ المَغْفِرَةُ مِنَ الرَّبِّ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعْنَى صَلَاةِ اللهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ المُخْتَارِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْهَارِ».

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ: أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ مَا **قَالَ أَبُو العَالِيَةِ رَحِمَهُ اللهُ**، قَالَ: «صَلَاةُ اللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ».

وَأَمَّا مَنْ فَسَّرَ صَلَاةَ اللهِ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ تَكُونُ لِكُلِّ أَحَدٍ؛ لِهَذَا أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: فُلَانٌ -رَحِمَهُ اللهُ-، وَاخْتَلَفُوا هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: فُلَانٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الصَّلَاةَ غَيْرُ الرَّحْمَةِ، وَأَيْضًا فَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وَالعَطْفُ يَقْتَضِي المُغَايَرَةَ.

إِذَنْ؛ فَالصَّلَاةُ أَخَصُّ مِنَ الرَّحْمَةِ.

فَصَلَاةُ اللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ فِي المَلَإِ الأَعْلَىٰ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهُمْ: وَالصَّلَاةُ مِنَ اللهِ بِمَعْنَىٰ الرَّحْمَةِ بَاطِلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ غَايَرَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

الثَّانِي: أَنَّ سُؤَالَ الرَّحْمَةِ شُرِعَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَالصَّلَاةُ تَخْتَصُّ بِالنَّبِيِّ وَحْدَهُ، وَهِيَ حَقٌّ لَهُ وَلِآلِهِ، وَلِهَذَا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَىٰ مُعَيَّنٍ غَيْرِهِ، وَلَمْ يُمْنَعْ أَحَدٌ مِنَ التَّرَحُّمِ عَلَىٰ مُعَيَّنٍ.

الثَّالِثُ: أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ عَامَّةٌ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَمَّا صَلَاتُهُ فَخَاصَّةٌ بِخَوَاصِّ عِبَادِهِ».

وَكَمَا مَرَّ: كَانَ يَنْبَغِي لِلمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَقْرِنَ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ، وَقَدْ نَصَّ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كَرَاهَةِ الإِتْيَانِ بِأَحَدِهِمَا؛ لِأَنَّهُ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ المُخْتَارِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْهَارِ» فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: وَسَلَّمَ.

سَلَّمَ: فِيهَا السَّلَامَةُ مِنَ الآفَاتِ، وَفِي الصَّلَاةِ: حُصُولُ الخَيْرَاتِ، فَيَكُونُ قَدْ جَمَعَ فِي هَذِهِ الصِّيغَةِ بَيْنَ سُؤَالِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يُحَقِّقَ لِنَبِيِّهِ الخَيْرَاتِ، وَأَخَصُّهَا: الثَّنَاءُ عَلَيْهِ فِي المَلَإِ الأَعْلَىٰ، وَأَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الآفَاتِ، وَكَذَلِكَ مَنِ اتَّبَعَهُ.

فَنَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَالجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ: «صَلَّىٰ» وَكَذَلِكَ: «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا، طَلَبِيَّةٌ

مَعْنًىٰ؛ لِأَنَّ المُرَادَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، فَإِذَا قُلْتَ: صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا خَبَرٌ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ، وَإِنْشَاءٌ وَطَلَبٌ مِنْ حَيْثُ المَعْنَىٰ.

قَالَ: «عَلَىٰ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ»: المُصْطَفَىٰ مِنَ الصَّفْوَةِ، وَهِيَ الخُلُوصُ.

«عَلَىٰ المُصْطَفَىٰ المُخْتَارِ»: وَالمُخْتَارُ أَصْلُهَا: مُخْتَيَرٌ، فَهُوَ ﷺ أَفْضَلُ المَخْلُوقَاتِ.

وَ«آلِهِ»: آلُهُ هُنَا: أَتْبَاعُهُ عَلَىٰ دِينِهِ، هَذَا إِذَا ذُكِرَتِ الآلُ وَحْدَهَا أَوْ مَعَ الصَّحْبِ، فَإِنَّهَا تَكُونُ بِمَعْنَىٰ: أَتْبَاعِهِ عَلَىٰ دِينِهِ مُنْذُ بُعِثَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الآلَ بِمَعْنَىٰ الأَتْبَاعِ عَلَىٰ الدِّينِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ أَيْ: أَتْبَاعُهُ عَلَىٰ دِينِهِ.

أَمَّا إِذَا قُرِنَتْ بِالأَتْبَاعِ فَقِيلَ: «آلِهِ، وَأَتْبَاعِهِ»، فَالآلُ هُمُ المُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ البَيْتِ -أَيْ: بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ-.

«وَآلِهِ وَصَحْبِهِ» آلُهُ: أَتْبَاعُهُ عَلَىٰ دِينِهِ، وَصَحْبُهُ: كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِنْ تَخَلَّلَتْهَا رِدَّةٌ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا.

وَعَطَفَ رَحِمَهُ اللهُ الصَّحْبَ هُنَا عَلَىٰ الآلِ، قَالَ: «وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْهَارِ» مِنْ بَابِ عَطْفِ الخَاصِّ عَلَىٰ العَامِّ؛ لِأَنَّ الصُّحْبَةَ أَخَصُّ مِنْ مُطْلَقِ الِاتِّبَاعِ.

«الأَطْهَارُ» التَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ وَلَا يَجْمُلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، أَيْ: مِنَ المَعَاصِي وَالأَفْعَالِ المُحَرَّمَةِ، فَالأَطْهَارُ: جَمْعُ طَاهِرٍ ذَكَرَهُ ابْنُ سِيدَه، وَهُوَ نَادِرٌ كَجَاهِلٍ وَأَجْهَالٍ، تَقُولُ: طَاهِرٌ وَأَطْهَارٌ، كَمَا تَقُولُ: جَاهِلٌ وَأَجْهَالٌ، فَهَذَا نَادِرٌ فِي الجَمْعِ.

التَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ مِنَ المَعَاصِي وَالأَفْعَالِ المُحَرَّمَةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com